دورانهِ فيغذي كلّ انحاء الجسد ويهنأ الانسان بالعافية التامّة . والفضل في ذلك للكُريات البيضاء

فيا لهُ كم في جسم الانسان من عجائب يجهلها وكلّ ما قدّمناهُ في هذا الفصل انّما هو زبدة الابحاث التي اجراها العلماء منذ سنين قليلة ففتحت لنا عالماً جديداً ما كنّا لنتوهّم غرابتهُ ومحاسنهُ

وفيهِ في كلّ تحريكةٍ وتسكينةٍ في الورى شاهدُ

الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي الاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

واشتهر ايضاً في التاريخ من نصارى الملكيين الكاثوليك رجلان من بيت الصبّاغ كانا حفيدين لابراهيم الصبّاغ طبيب ظاهر العمر (اطلب المشرق ٨: ٢٦) اسم احدهما عبود والآخر ميخائيل بن نيقولا بن ابراهيم . وكان اهلهما بعد وفاة جدّهما ابراهيم سنة ١٧٧٦ هربوا الى مصر حيث نشأ الولدان وتخرّجا بالآداب على اساتذة القطر المصري[1] ثمّ لمّا كان قدوم نابوليون الى مصر ومعهُ عدد من مشاهير العلماء اتّصل عبود وميخائيل بهؤلاء الكرام وصارا في خدمتهم الى ان انتقلا معهم الى فرنسة . وقد اتّسعنا في المشرق (٨ : ٣١–٣٣) عمّا خلّفهُ ميخائيل من التركة العلميّة الثمينة اجلّها بعض التآليف التاريخيّة التي لا تزال مخطوطةً في مكتبتي باريس ومونيخ منها تاريخ اهلهِ بيت الصبّاغ وبيان احوال طائفتهِ الملكيّة الكاثوليكيّة . ولهُ ايضاً متفرّقات ضمّنها تاريخ قبائل البادية في ايّامهِ وتاريخ الشام ومصر . هذا فضلاً عن كتبهِ اللغويّة والادبيّة كالرسالة التامّة في كلام العامّة ومسابقة البرق والغمام في سُعاة الحمام وكلاهما قد طُبع في اوربّة . ولهُ مآثر من النظم نذكرها في الادبيّات . امّا عبّود فانّ لهُ في مخطوطات باريس تاريخاً (Fonds arabe, *Paris*, 4610) جمع فيهِ اخبار ظاهر العمر دعاهُ «الروض الزاهر في تاريخ ظاهر (كذا)» وطريقة عبّود وميخائيل في تدوين التاريخ سهلة الالفاظ واضحة المعاني حسنة السبك تدلّ على ضلاعتهما في الكتابة هذا مع ضعف في التعبير لاسيّما في تاريخ عبّود الذي يشبه كلامهُ بركاكتهِ كلام العامّة . وتوفّي ميخائيل سنة ١٨١٦

١) اطلب ترجمة ميخائيل الصبّاغ التي اثبتناها في المشرق (٨ : ٢٦–٣٣)

ولهُ بعض المآثر الشعريَّة نصفها في القسم الادبيّ . اما عبُّود فلا نعلم سنة ومكان وفاتهِ

وقد عُرف في عهد الصبَّاغين المذكورين كاهن من اسرتهما كما نظنّ نضيفهُ اليهما وهو انطون صبَّاغ من تلامذة رومية يستحقُّ الذكر بما عرَّبهُ من التآليف المتعدّدة البالغة نحو ٥٠ مجلَّدًا منها كتاب تاريخ انكردينال اورسي في ٢٤ جلدًا كبيرًا انتهى من تعريبهِ نحو السنة ١٧٩٢ وكانت وفاتهُ في العشر الاوَّل من القرن التاسع عشر (المشرق ٩ : ٦٩٥)

ومن ادباء الروم الملكيين الذين احرزوا لهم فخرًا في التاريخ نيقولا بن يوسف الترك كان اصل والدهِ من الاستانة العليَّة ثم سكن دير القمر حيث ولد ابنهُ نيقولا سنة ١٧٦٣ وفي وطنهِ سنة ١٨٢٨ . كان نيقولا محبًّا للآداب منذ حداثتهِ فلم يزل يتعاطى النظم والنثر الى ان نال فيهما نصيبًا صالحًا . وقد خدم المير بشير الشهابيّ زمنًا طويلًا وقصائدهُ فيهِ شهيرة تعود الى ذكرها عند وصف ديوانهِ . اما التاريخ فلهُ فيهِ مصنَّفان احدهما تاريخ الامبراطور نابوليون من سنة وفاة الملك لويس السادس عشر الى موت نابوليون ١٨٢١ في نحو ٤٥٠ صفحة كتبهُ بانصاف وحُسن ذوق مع تعريف اسباب الحوادث وعواقبها والحكم في جيّدها وسيّئها . وهذا الكتاب قد طُبع نصفهُ الاوَّل في باريس سنة ١٨٣٩ بهمَّة المسيو ديفرانج (M. Desgranges) الذي نقلهُ الى الفرنساويَّة وألحقهُ بعدَّة حواشٍ وهو يحتوي تاريخ نابوليون الى آخر بعثة مصر سنة ١٨٠١ . اما النصف الثاني فلا يزال مخطوطًا . ولنيقولا الترك تاريخٌ آخر ضمَّنهُ اخبار احمد باشا الجزَّار في مكتبتنا الشرقية منهُ نسخة في ١٢٦ صفحة وهو غاية في الافادة لتعريف احوال الشام من السنة ١١٨٥ هـ الى السنة ١٢٢٥ (١٧٧١—١٨١٠) وانشاء الكاتب بسيط مطبوع خالٍ من التعقيد والتقعير كما يليق بالتاريخ

والغالب على ظنّنا انَّ المعلّم نيقولا الترك هو مؤلف تاريخين آخرين لم يُذكَر اسم كاتبهما فالاوَّل هو « مجموع حوادث الحرب الواقع بين الفرنسويَّة والنمساويَّة في اواخر سنة ١٨٠٥ مسيحيَّة المرافقة لها سنة ١٢٢٠ لتاريخ الهجرة » وهو تاريخ واسع في ٣٠٦ صفحة من قطع الربع طُبع في باريس سنة ١٨٠٧ وصُفت فيهِ وقائع تلك الحرب التي انتهت بانتصار نابوليون في أُسترلتس . والتاريخ الثاني من مخطوطات مكتبة باريس العموميَّة (Fonds arabe, n° 1684) لسمهُ « نزهة الزمان في حوادث لبنان » في ١٤٨ صفحة يحتوي تاريخ الامراء الشهابيين منذ اوَّل قدومهم من الحجاز الى حوران ثم

الى لبنان مع تفصيل اخبارهم الى أيام الامير بشير الشهابي ونهايته بالحوادث التي جرت سنة ١٢٠٥ (١٧٩٠)

ويلحق بهذا التاريخ تاريخ آخر لاحد الموارنة كتبهُ مؤلفهُ « انطونيوس ابن الشيخ ابي خطّار الشدياق من بيت الحاج عبد النور من قرية عين طورين في جبّة بشرّاي باعمال طرابلس » سنة ١٨١٩ دعاهُ « مختصر تاريخ لبنان » وهو كتاب في ١٥٠ صفحة ضمّنهُ المؤلف عدّة امور تاريخيّة دينيّة ومدنيّة على غير ترتيب كما حضرتهُ او كما اقتطفها من تواريخ أخرى او سمعها من اهل زمانهِ منها فصلٌ واسع نقلناهُ عنهُ في المشرق (٤ : ٧٦٩ ; ٨٣٠) عن اصل الامراء والشيوخ في لبنان

ومما كُتب في هذا العهد من الأسفار رحلةٌ لاحد الحلبيين « فتح الله ولد انطون بن الصائغ اللاتينيّ » الذي رحل في خدمة احد الاجانب اسمهُ تيودور لسكاريس في اواخر سنة ١٨١٠ من حلب الى انحاء الشام الى جهات العرب وقد وصف ما جرى لها من الاخبار وضمّن رحلتهُ اشياء كثيرة عن احوال المدن التي زاراها وعن قبائل العرب وبلاد الوهابيين. وقد كتب ذلك بعبارة رائقة الّا انها قليلة التهذيب لا تكاد تخالف لغة العامّة والكتاب يُصان في خزانة باريس (تحت الرقم ٢٢٩٨) . وقد وقف الشاعر الفرنسويّ لامرتين على هذه الرحلة فاستعان ببعض المستشرقين ونشرها مترجمة الى الافرنسيّة في كتابهِ الشهير « سفرٌ الى الشرق » (Voyage en Orient) في القسم الرابع من طبعة باريس ١٨٣٥ (ص ٥٥—٢٨٥). اما المؤلف فعاش بعد ذلك زمناً طويلاً وسيعود لهُ في مطاوي مقالتنا ثانيةً

ونختم هذا النظر في مؤرخي الثلث الاوّل من القرن التاسع عشر بذكر احد مسلمي طرابلس الغرب وهو الشيخ محمد بن عبد الكريم ولد في طرابلس الغرب وتلقّى العلوم عن اعلام عصرهِ وتحول مصرهِ وكان واسع العلم كثير الحفظ تولّى النيابة في وطنهِ بعد والدهِ وحسنت سيرتهُ وألّف كتاباً سمّاهُ « الارشاد بمعرفة الاجداد » ضمّنهُ ذكر اسلافهِ الكرام وكان اصل اجدادهِ من الاندلس ثمّ انتقلوا الى طرابلس وعُرفوا بآل النائب وكان ابوهُ فقيهاً شاعراً توفي سنة ١١٨٩ هـ (١٧٧٥م) اما ابنهُ محمّد فكانت وفاتهُ سنة ١٢٣٢ هـ (١٨١٧م)

الشعر والادب

انَّ الشعر والادب كما التاريخ كانت سوقهما كاسدةً في اوائل القرن التاسع عشر لم يشتهر فيهما الَّا بعض الافراد في مقدّمتهم بين المسلمين الاديب السيّد احمد بن عبد اللطيف بن احمد البربير الحسنيّ البيروتيّ وُلد سنة ١١٦٠ (١٧٤٧) في ثغر دمياط وتوفّي في دمشق في ١٨ ذي الحجّة ١٢٢٦ (١٨١١) لهُ تآليف ادبيَّة ومنظومات اخصُّها مقاماتهُ التي منها نسخة خطّيَّة في المكتبة الخديويَّة (انظر فاتحتها ٤ : ٣٢٨) يبتدئ اوَّلها بقوله « حكى بليغ هذا الزمان والعصر من حديث الذّ من سلافة العصر » . وقد طُبع من هذه المقامات مقامة « المفاخرة بين الماء والهواء » في دمشق سنة ١٣٠٠ (١٨٨٣) . ولهُ بديعيَّة علَّق عليها شروحًا مصطفى بن عبد الوهاب بن سعيد الصلاحي تُصان بين مخطوطات برلين (ع ٧٣٨٨) ولهُ كتاب الشرح الجليّ على بيتي الموصليّ وهو تأليف واسع طُبع في بيروت سنة ١٣٠٢ (١٨٨٥) اودعهُ صاحبهُ فنونًا من الآداب وفصولًا في كلّ علم من العلوم . والموصليّ المذكور هو عبد الرحمان بن ابراهيم الصوفي الموصلي من ادباء القرن الثامن عشر . امَّا البيتان اللذان شرح البربير رمزهما فهذان :

ان سرَّ والمرآة يومًا في يدي من خلفهِ ذو اللطف اسما مَنْ سما
دارت غرائبُ الزجاج ولم ترلْ تقفوهُ عدوًا حيثُ سار وبمَّا

اما منظومات السيّد احمد البربير فكثيرة لكنَّها متفرّقة . وكنَّا قد نشرنا منها شيئًا في المشرق (٣ : ١٤—١٨) مما دار بينهُ وبين مخايل البحريّ من المراسلات الادبيَّة . ثمَّ اتحفنا جناب الاديب عيسى افندي اسكندر معلوف بنُخبة أُخرى من اقواله الشعريَّة تجدها في مجلَّتنا (٤ : ٣٩٦) ولعلَّ السيّد احمد البربير نظم ديوانًا كاملًا لكنَّنا لم نقف لهُ على اثر ومما قرأنا من لطائفهِ قولهُ في طبيب :

رأيتُ طبيبًا لهُ نفارُ بيتهُ في شيبهِ دلالا
فقلتُ من انت يا حبيبي هل راحمي انتَ قال لا لا

ولهُ في التوحيد :

لقد آمنتُ بالقيـ ـوم واصبحتُ بهِ آمنْ
هو الاوَّل والآخر م والظاهرُ والباطنْ

وقال: خرجتُ من سجن نفسي ومن حظوظي والجساه
وفي جميع اموري اسلمتُ وجهي لله

وقال في كبح الشهوات:

انَّ الذين يجاهدو نَ النفسَ شبَّانًا وشيبا
منَّ الالهُ بنصرهم وأثابهم فتحًا قريبا

وقال في تاجر سها عن الآخرة:

يا تاجرًا لا يزالُ يرجو ربحًا ويخشى من الخساره
عبادةُ الله كلَّ حينٍ خيرٌ من اللهو والتجاره

وقال يصف دار اسعد باشا وكان حلَّاها ابو السعود محمد بن علي فقال يصفها:

يا دارَ اسعد باشا للهِ النسيمُ المخلَّدْ بطلعة ابن عليٍّ الى السعود محمَّدْ
بدرٌ يزيد كمالًا من النجوم تولَّد ذو همَّةٍ غار منها حدُّ الحسام المجرَّدْ
أما ترى السيف منها في جفنه بات مُغمدْ وطعنهُ في البرايا مسَّا فشا وتأكدْ
حتَّى غدا كلُّ شخصٍ بنبع بقرٍّ ويشهدْ كأنهُ من نسيم القبول بات مجسَّدْ
أما ترى ورد خدِّ الرياض منهُ تورَّدْ والبحر لمَّا رآهُ يجودُ ارغى وازبدْ
والدهر بات غلامًا لمن عليهِ تردَّدْ فتًى بهِ ابيضَّ حظِّي من بعد ما كان اسودْ
يا سيِّدي عش سعيدًا فانَّ جدَّك اسعدْ وسوف ترقى لأوجٍ من الكواكب ابعدْ
فاحفظ بشارة عدلٍ جا القراءُ تشهدْ واسلم ودم في سرورٍ ما طائر الصبح غرَّدْ

(لهُ بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

THE DESERT AND THE SOWN by Gertrude Lowthian Bell, *London*, W. *Heinemann*, 1907, XVI-347

البادية والحضر

كاتبة هذه الرحلة سيدة انكليزيَّة الميس بال سافرت من القدس الشريف في ربيع سنة ١٩٠٥ كما زوجها (لانهُ فاتها ان تذكر سنة السفر) فقطعت الاردن وساحت في عجرهِ الى حوران الى الصفا الى دمشق ومنها الى جهات حمص وحماة وانحاء جبل بارا حتى بلغت حلب ثم كرَّت راجعةً الى انطاكية مارَّةً بجبل سمعان وانتهت اخيرًا الى الاسكندرونة هذه هي السياحة التي قرأنا برغبةٍ تفاصيلها الشائقة لأشرف بلاد الشام واغناها بالآثار التي تجعلها كمتاحف عظيمة للعاديَّات القديمة. وليس هذا الكتاب خبر رحلةٍ فقط